تشمل، حرية الثقافة، وحرية الفكر وحرية القلم. والعدالة يجب أن تشمل عدم التعدي على حضارات الشعوب، ووجوب المحافظة عليها وصونها، لأن الحضارة في مجملها ليست ملكا لشعب أو أمة أو جماعة، انما هي في مجملها ومجموعها تراث الانسان على هذا الكوكب وهي بالتالي ملك الانسانية.

ان مؤتمركم قد لاحظ، بلا شك، أن المشاكل لا تقتصر على الجوانب السياسية، وان المجاعات لا تتوقف عند حد نقص الموارد الغذائية. فمن المخجل اننا لا نزال نرى في عالم اليوم سيطرة ثقافية واستبدادا عنصريا ومجاعات تعليمية وعمليات ابادة لا تترك حجرا ولا بشرا. والغريب أنه في الوقت الذي تزداد فيه وسائط توحيد الثقافة، بل وسبل التفاهم قوة وتمركزا، يواجه العالم موجة من التفتت والصراعات الحادة، التي لا تتفق مع ما كان متوقعا من ثمار هذه التطورات التكنولوجية. ان الامر لا يمكن أن يكون مصادفة. وليس صحيحا ما يدّعيه بعض المفكرين والمدافعين عن الاستعمار وسيطرة العنصريين، من أن الشعوب حديثة الاستقلال تتصارع فيما بينها بعد أن ملكت حريتها السياسية. فليس هذا الصراع من صنع الشعوب، وإنما هو ثمرة التركة الاستعمارية التي استمرت قروناً لتترك آسيا وافريقيا وأميركا اللاتينية، بوجه خاص، في حالة فقر مُدقع، محرومة من كافة سبل الصحة والتعليم وضرورات التنمية. كما أن حالة التفتت والصراع، بالتأكيد، ثمرة فعل شرير تقوم به الدوائر الاستعمارية الفاشية والصهيونية والعنصرية محافظة على امتيازاتها، وتوسيعاً لرقعة استغلالها لضمان استمرارها وسيطرتها على مقدرات الشعوب وتدعيم احتكاراتها. ان هذه القوى تستغل امتلاكها للوسائط المادية لتبذر بذور الشقاق بين الشعوب، معلنة أنها، وهي تعيش على الحرب، ستستمر بالحرب عن طريق وكلاء وعملاء يدفعون ثمن السلاح ويقدمون أرواح ابنائهم، بينما تزخر الخزائن القديمة والحديثة بحرق ودماء هذه الشعوب، حيث تتحول داخل هذه الخزائن والبنوك الى ثروات أسطورية طائلة لا سبيل الى تصورها.

فهل نستطيع أن ننسى هؤلاء البؤساء الذين ماتوا أو قتلوا في مناجم الذهب أو مناجم الالماس وحتى مناجم الفحم؟ هل نستطيع أن ننسى سفن العبيد التي مات فيها، وعبرها، الملايين من أبناء أفريقيا دون ذنب اقترفوه، فكانوا ضحية هجمة استعمارية تحت شعار ما يسمى بـ «تحضير وتمدين أفريقيا» الذي كان هدفه الحقيقي هو استغلالهم للعمل بالسخرة والعبودية في مزارع الأرض التي اكتشفت حديثاً.

وهل نستطيع أن ننسى كم من البلدان قد دُمّر اقتصادها الوطني وجُدّدت زراعتها، فقط لتستمر المصانع الاوروبية في عملها، ولتتحول هذه البلاد المنكوبة بهذا النوع من الاستعمار الغريب، إلى مزارع تمدُّ تلك المصانع بالمادة الخام، مما أفسد، تبعا لذلك، موازين الاقتصاد في هذه البلاد؟ هل نستطيع ان ننسى سيطرة الباذكي وكم أهلك من شعب الهنود الحمر ظلما وعدوانا، وكم هلك من الأنكا والمايا والازتك لتزداد تخمة الاستعماريين على حساب هذه الشعوب؟

هل نستطيع أن ننسى كم قطّع الافيون والموربفين في شرق آسيا، وهل يمكن أن نتساءل عن ماهيّة نظرية الاستعمار والمستعمرين، والاستيطان والمستوطنين: نظرية تفوق الرجل الابيض، الذي أفسد كل شيء حتى الجو المحيط بكوكبنا هذا، دون اكتراث لمستقبل ابنائنا جميعاً؟

لقد لاحظ عدد من المؤتمرات الدولية، مؤخرا، أن القوى التي تملك الوسائط التقنية المتحكمة في مجال نقل المعلومات لا تزال تمارس استعمارا من نوع جديد: فهي تبث قيمها، ثم تفرضها فرضا على المشاهدين والسامعين وتتكتم على قيم الشعوب الصغيرة والفقيرة كأنها بلا جذور ولا حضارات ولا ثقافات، تماما كما كان السيد في الماضي البعيد يطبع العبد بطابعه ويُسمّيه باسمه. وإذا كانت البشرية قد نجحت في الغاء الرق على نطاق عالمي فانها لا تزال، حتى الآن، مواجهة بمعركة الغاء الرق الثقافي والجماعي في العالم كله. وأوضح مثال على ذلك، ما يقوم به كبار المسؤولين في حكومة الولايات المتحدة الأميركية الذين لا يخفون إصرارهم على ما يسمونه بـ «أمركة» العالم وتصدير نمط حياتهم الى الشعوب الفقيرة، سعياً للسيطرة الثقافية عليها وفرض هذه الثقافة ولو بالقوة.